

شاعر ألمانيا الكبير



• ولد (جوهان فولج جوته) في 28 أغسطس سنة 1749م في (فرانكفورت) على نهر (المайн).

والده مستشار للقيصر، وأُمّه إمرأة شاعرة متعلّمة، ورث عنها حبّ الطبيعة. كان نابغاً في طفولته مما جعل أصدقائه وأهله ينتبهون لذلك، فهو شاعر مبدع، وأديب مقتدر. درس القانون، وتخرج محامياً على رغم عدم حبه لهذه الدراسة الجافة التي تتناهى مع روحه ومشاعره الفياضة.

كان البيت الذي عاش فيه تسوده روح التديّن الصارمة، وقد لَعِبَ دوراً هاماً في التربية الدينية للأبناء، فكلّ يوم كانت هناك فترة مخصصة لقراءة ودراسة الإنجيل، كما كانت الصلاة يوم الأحد من الأمور المقدّسة. وكان من أول الأشياء التي زعزعت إيمان الصبي خبر زلزلة لشبونة الذي وقع في سنة 1755م والذي هلك فيه خلق كثير.

لم يستطع أحد أن يحجب الصبي عن هذا الإبهام الذي حصل له من تلك الواقعية الطبيعية، كانت الأسئلة الكثيرة تملأ روحه وفكرة، وقد عبر هو عن ذلك، إذ قال: "لم تكن الكنيسة البروتستانتية إلا نوعاً من الأخلاق الجافة، ولم تكن المواقع الدينية في الكنيسة تثير التفكير، ولم تكن التعاليم تستطيع إرضاء الأرواح".

كان (جوطه) مهتماً بالعهد القديم، إذ كانت قصص الأنبياء: إبراهيم، إسحاق، يعقوب وأيوب تثير اهتمامه، وتشغل بالله، وقد ظلت وجهة نظره نحو الكنيسة وعقائدها تتسم بالحيرة والشك، حتى وصلت فيما بعد إلى حدّ الرفض، ووصف تاريخ الكنيسة بأنّه خليط من التضليل والسلط، وكان أهم ما زاد في نفوره من الأرثوذوكسية اللوثيرية قضية الخطيئة الموروثة التي شكلّت أيضاً عاماً كبيراً في ابعاده عن الكنيسة.

كان من أكثر ما ميّز (جوته) عن كثير من أدباء الغرب هو الاطلاع على الأدب العربي الثري، مما أدى به إلى تأليفه كتاب (الديوان الشرقي)، فقد كتب مسرحية عن النبي "محمد" (ص) ووصفه بأنّه جاء بأفكار عالمية جديدة ليشيع السلام والمساواة والإخاء في العالم. وأراد (جوته) أن يكتب نصاً منصفاً عن هذه الشخصية العربية الإسلامية العالمية، حتى أنّه صوّر النبي "محمد" هادياً للبشر في صورة نهر يبدأ بالتدفق رقيقاً هادئاً، ثم لا يلبث أن يندفع بشكل سهل عارم، آخذًا معه البشرية نحو النهر المحيط (رمز الألوهية).

قالت الكاتبة الألمانية (كاتارينا مومنز) في دراسة لها حول علاقة (جوته) بالإسلام: "إنّ" (جوته) في عامه السبعين أعلن على الملأ أنّه يعتزم أن يحتفل بخشوع الليلة المقدّسة التي أنزل الله فيها القرآن، معتبرة أنّ شاعر ألمانيا كان يحفظ العشرات من الآيات القرآنية، وأنّه مؤمن بوحدانية الله، وكان شغوفاً على وجه الخصوص بالآيات المباركات من سورة طه، ويُردّد بها باستمرار، وهي قوله تعالى: (قَالَ رَبِّي أَسْمَرَ لِي أَمْرِي \* وَيُرِدُّ لِي أَمْرِي \* وَاحْتَلُ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي) (طه / 25-28).

وقالت أيضًا: "إنّ" علاقة (جوته) بالإسلام ونبيه الكريم ظاهرة مُدعاه للدهشة في حياته، فكل "الشاهد تدلّ" على أنّه في أعماقه شديد الاهتمام بالإسلام".

كما كان مسلمو ألمانيا يتعددون دائمًا وبأدلة قوية عن اعتناق (جوته) للإسلام واثقين في ذلك تمام الثقة، وتؤكد ذلك جماعة (فايمرا) التي أطلقت على (جوته) اسم (محمد) تيمّناً باسم رسول الله (ص).

أما أدلة جماعة (فايمرا) على إسلامه، فهي كثيرة، ويسردها رئيس المجموعة (ريجر) في النقاط التالية:

1- درس السيرة النبوية بأكملها وقواعد اللغة العربية والشعر، وكتب مجموعة أعمال شعرية تُبيّن إعجابه بالدين الإسلامي عامّة، وشخصية الرسول على نحو خاص.

2- حرص على دراسة الاستشراق، ليقترب من الإسلام أكثر ومن خلال التعلّم الذاتي.

3- حاول أن يكتب العربية، ويقال إنّه كان يُنظّم جلسات لقراءة القرآن في إحدى قصور الدوّاقات الألمان، ورفض فكرة الصليب المسيحية، وشكّ ببعض أركان الدين المسيحي.

4- يقال أيضًا إنّه شارك في صلاة الجمعة بمدينة (فيمار) مع مجموعة من الجنود الروس المسلمين التابعين لحكومة روسيا القيصرية آنذاك، ويؤكد آخر أنّ (جوته) كان يصوم رمضان ويصلّي، ويتردد على أحد المساجد للصلاة فيه، وكان يحفظ من القرآن آيات عديدة، وكان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، كما إنّه نطق بالشهادتين في كتاباته، إلى جانب مئات الصفحات التي كتبها ممجداً ومادحاً النبي "محمد" (ص).

- نماذج من شعره:

قل هـ المشرق والمغرب \*\*\*\* يهدي مـن يشاء إلى صراط مستقيم

وهذا البيت وما يليه من الأبيات يتضمّن معاني ومضايين قرآنية:

وفي راحتيه له الأسماء الحسنـي \*\*\* وتبـارك اسمـه الحقّ وتعالـى علـواً كـبيراً

ويتازعني وسوس الغي وأنت المغيبة المعبد من شر الوسوس الخناس\*\*\*\* اللّٰهُمَّ اهدني في الأعمال والنيات إلى الصراط المستقيم

وفي القصيدة التي أسمتها (الهجرة)، أشار إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر النبي ﷺ من مكّة إلى المدينة:

إلى هناك، حيث الطُّهر والحقُّ والصفاء \*\*\*\* أود أن أقود الأجناس البشرية

وأفد بها في أعماق الأصل السحيق \*\*\* حيث كانت تتلقى من لدن الربِّ وهي السماء بلجة الأرض

وفي قصيدة أخرى، يقول (جوته) :

من حماقة الإنسان في دنياه \*\*\* أن يتبعه أحد مذماً لما يراه

إذا كان الإسلام معناه إنَّ التسليم \*\*\* فعلى الإسلام نحيا ونموت نحن أجمعين

وقال:

فارتفع أيُّها القلب العامر بالحبِّ نحو الخالق \*\*\* إِنَّكَ وحدك مولاي يا ربِّ

إِنَّكَ المحيط بكلِّ شيء خالق الشمس والقمر والكواكب \*\*\* خالق السماء والأرض وخلق نفسي

وقال في بعثة الرسول (ص) :

حينما يتأنّى الملك على عجل \*\*\*\* جاء مباشرة بصوت عاليٍ ومعه النور

اضطرب الذي كان يعمل تاجراً \*\*\* فهو لم يقرأ من قبل

وقراءة الكلمة تعني الكثير بالنسبة له \*\*\* لكن الملك أشار إليه وأمره بقراءة ما هو مكتوب ولم يبالـ

وأمره ثانية أقرأ \*\*\* واستطاع القراءة، واستمع الأمر، وبدأ طريقه

- خلاصة القول:

إنَّ (جوته) وبصرف النظر عمّا إذا كان مسلماً أم لا، فسوف تظلُّ مكانته عظيمة عند العرب والمسلمين، لأنَّه عشق الشرق، وأحبَّ الإسلام، ويكفي أنَّه ترك أثراً كبيراً في المستشرقين الألمان الذين تناولوا الإسلام بصورة إيجابية، ونقلوا الكثير عن الحضارة العربية والإسلامية.

ولذلك يرى المستشرقون الألمان إنَّ التراث العربي والإسلامي بحر يجب الخوض فيه، وقد أنفقوا سنوات عمرهم في هذا التراث قراءة وتحقيقاً ونقداً وتحليلاً. ▶

